

الدرس الثاني

من الأمور التي تجدر الإشارة إليها فيما يتعلق بالموت إضافة إلى ما سبق:

٢- أن أَجَلَ الإنسان مُبْهَم لا يعلمه أحدٌ إلا الله ، فلا أحد يعلم متى يموت ، أو في أي مكان يموت ؛ لأن هذا من علم الغيب الذي انفرد الله - سبحانه وتعالى - به .

٣- إذا جاء الموت فلا يمكن دفعه أو تأخيره أو الفرار منه ، قال تعالى: ﴿ وَلكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤].

٤- المؤمن إذا جاءه الموت ، جاء إليه ملك الموت بصورة حسنة ، طيب الرائحة ، وتحضر معه ملائكة الرحمة يبشرونه بالجنة ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخْفُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠] ، وأما الكافر ، فيأتيه ملك الموت بصورة مخيفة ، أسود الوجه ، ويأتي معه ملائكة العذاب يبشرونه بالعذاب ، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَهُمُ الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ عَذَابَ الهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٣].

فإذا جاء الموت انكشفت الحقيقة ، واتضح الأمر لكل إنسان ، قال تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون ٩٩ ، ١٠٠] ، فإذا جاء الموت تمنى الكافر والعاصي الرجعة إلى الحياة لأجل أن يعمل الأعمال الصالحة ، ولكن لا ينفع الندم بعد فوات الأوان ، قال تعالى: ﴿ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ [الشورى: ٤٤].

٥- من رحمة الله تعالى بعباده أن من كان آخر كلامه قبل موته: "لا إله إلا الله" دخل الجنة ، قال ﷺ: ((من كان آخر كلامه من الدنيا، لا إله إلا الله دخل الجنة)) [أخرجه أبو داود] ، لأنه لا يمكن أن يقوها الإنسان في ذلك الوقت العصيب إلا مخلصًا فيها ، أمَّا غير المخلص ، فإنه يذهل عنها لشدة ما يصيبه من سكرات الموت ؛ لذا يُسْنُّ لمن حضر عند المحتضر أن يلقنه: "لا إله إلا الله" ؛ لقول النبي ﷺ: ((لقنوا موتاكم لا إله إلا الله)) [رواه مسلم: ٩١٦] ، وذلك من غير إلحاح عليه ؛ لئلا يضجر فيتكلم بكلام لا يليق .